عنوان المحاضرة الأولى : المصدر والمرجع والعلاقة بينهما

مقدمة :

يعتبر الكتاب بمختلف أنواعه ومصادره و مواضيعه هو القلب النابض للباحث والناقد والأديب وعليه عكف الكل من أجل النّهل من مضانه و النيل من معلوماته بشتى الطرق مهما كانت السبيل شاقة للوصول اليه ولاسيما الكتب النوادر و المخطوطات التي تقبع في زوايا المكتبات و رفوفها وقد غطاها التهميش والنسيان ولضرورتها في مسيرة الباحث لابد من الانكباب عليها ومعرفتها أشد المعرفة حتى يسهل التمييز بينها ما أجل انتقاء الأنسب والأقرب الى الهدف كونها المادة المعرفية التي يتسلح بها الباحث ودونها لا وجود لعملية البحث,

ونظرا لأهمية مصطلحي المصدر والمرجع سنتعرض لكليهما بالتعريف حتى نحدد الفرق بينهما و أيهما أصل للآخر؟ وما طبيعة العلاقة بينهما ؟

1-المصدر في اللغة :صَدَرَ، صَدْرا، صُدورا : وقع وتقرر، صدر الشئ عن غيره، نشأ فلان يصدر عن كذا : يستمد منه ، صدر إلى المكان : انتهى إليه ، أصدر الأمر : أنفذه و أذاعه، صدر الرّعاء دوابهم : أي ساقوها و صرفوها عن الماء **يقول تعالى : ولما ورد ماء مدْين وجد عليه أمة من الناس يسْقون فوجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبُكُما قالتا لا نسقي حتى يُصيْدَر الرُّعاء و أبونا شيْخٌ كبيرٌ - القصص الآية 93 -**

2- **المصدر في الاصطلاح** : هو الأساس المتبع الذي أخذت منه الفروع ، وهو الأصل الأول للمادة ، إن الكتاب الذي نجد فيه المعلومات الصحيحة كاملة ، وهي الأثآر التي تضمّ نصوصا أدبية ، شعرا ونثرا لكاتب واحد أو مجموعة من الكُتاب للشاعر الفرد أو لطبقة من الشعراء أو لخليط من كتّاب و شعراء ، وخطباء ، رؤية هذه الآثار شفاها أو دونّت في كتب ، أو نُقشت على الأبنية ، ووصلتنا دون تعليق على النّص أو تفسير له دون تمهد له أو تعقيب عليه [1]

- أنواع المصادر :

أ* مصادر أساسية :

و يقصد بها الجانب الأدبي الذي تفرّدت به ,

ب* مصادر مساعدة : وهي النصوص الأدبية المبثوثة في مظان الكتب غير أدبية (المعاجم، الكتب النحوية، الكتب الفكرية)

طبيعة كل منهما أي قسمي المصادر الأساسية والمساعدة نقول أن القسمان ليس بمرتبة واحدة من حيث القيمة، وذلك تبعا لمدونيها أو راويها من حيث صدقه و ثقافته ، ومعرفته لما يروى و معاصرته للمروي عنه و قربه من عصره و شيوع روايته و تواترها,

ومن المصادر نذكر الببليوغرافية (الفهارس ، الموسوعات، المعاجم، الأطالس و كتاب سر صناعة الإعراب لابن جني ، التصريم لابن جني ، الألفية لابن مالك، الحماسة العمدة لابن

1()- ينظر: الطاهر المكي : دراسة في مصادر الأدب ،

رشيق و مجمع الأمثال و رسائل الجاحظ ، والذخيرة لابن بسام الشنتريني و الشعر والشعراء لابن قتيبة

المرجع : هو ما يرجع إليه من كتاب أو لغيره فهو محل الرجوع و قد اعتمد على المصدر فهو محدث، أي إعادة ثانية التي اعتمدت على المادة الأصل ، وهو كتاب يساعد على إكمال المعلومات و التثبت من بعض النقاط و كان يسمى قديما المصدر الثانوي,

أنواع المراجع :

للمراجع قسمان :

* مراجع أصلية : و هي التي ألفت في العصر الذي نشأ فيه النص أو قريبا منه ، لأن المؤلف أقدر على تفسيره,

*مراجع مساعدة :و هي تلك الأبحاث الحديثة ، التي تعين على تكوين فكرة أو تذليل صعوبة أو تصحيح خطأ,

الفرق بين المصدر والمرجع : هناك من عرف المصدر كل كتاب تناول موضوعا و عالجه معالجة شاملة و عميقة ، أو هو كل كتاب يبحث في علم من العلوم على وجه الشمول و التعمق ، بحيث يصبح أصلا لا يمكن لباحث في ذلك العلم الاستغناء عنه / كصحيح البخاري وصحيح مسلم فانهما مصدران في الحديث النبوي ، أما المرجع فهو الكتاب الي يستقي من غيره ، فيتناول موضوعا او جانبا من موضوع ، فيبحث في دقائق مسائله و مقاصده بينما يذهب بعض الباحثين إلى ان المصدر و المرجع بمعنى واحد و هو كل ما يتعلق بالبحث من دراسات ووثائق قديمة او حديثة مخطوطة او مطبوعة فالمصادر على هذا هي كل ما يرجع إليه في البحث و المرجع هي كذلك أيضا ولهذا فكلاهما يلتقيان في الاستعمال و يشتركان في الهدف و الاختلاف الحاصل بينهما مجرد اختلاف اصطلاحي

ومصفى القول في كل هذا ان المرجع و المصدر سواء أكان مترادفين أم ان كليهما يؤدي معنى مستقلا فان الباحث لا يستغني عنهما لأنهما عدته في اي بحث يقوم به

الأطوار التي مرت بها اللغة العربية :

الطورالأول :

كانت فيه اللغة مزيجا من اللهجات و تعود البداية الى لهجتين : لهجة قبائل بن عدنان في شمال الجزيرة العربية في الحجاز و من منازلهم (تهامة ، ونجد و الحجاز و غيرها و لهجة قحطان الحميارية في اليمن جنوبا ومن قبائلهم حمْير، غسّان ، لخْم و مذْحجْ، كنْدة ، و طيْأ وفي شأن اختلاف لغات هذه القبائل العربية و لهجاتها قال أبو عمرو بن العلاء:{ ما لسانُ حمْيرو أقاصي اليمن بلساننا و لا عربيتهم بعربيتنا},

الطور الثاني : و يبدأ عند اجتماع القبائل و اختلاط بعضها ببعض في التجارة و الحروب و الحج في الوقت الذي كانت السيادة الدينيّة فيه لقريش إذْ كانت تأخذ من لغات اليمن ، والشام ، فارس ، الحبشة بعد تهذيب للغاتها لتزداد بذلك ثروة العربية,

الطور الثالث: و يبدأ بنزول القرآن الكريم الذي أتم لهذه اللغة سيادتها و شرفها الى جانب الحديث النبوي الشريف الذي زادها تشريفا بتهذيبها فاتسعت بذلك أإراض العربية بتأثير الدين و دخلتها الألفاظ الجديدة و تغيرت معاني بعض الألفاظ بتغير المجتمع كالصلاة والزكاة ,

في هذا الوقت بدأ اللّحن يظهرعند العرب بفعل احتكاكهم بالمستعربين و قد شاع منذ بداية العصر الأموي و ازداد أكثر في العصر العباسي فاستنكر العرب هذه الظاهرة الغريبة على ألسنتهم و على سرقتهم فانبرى أي ظهر أبو الأسود الدؤلي و تلامذته لوضع رسم إعراب القرآن عن طريق النّقْط والشّكل ووضع قواعد النحو,

كما تواصل العمل في العصر العباسي بشكل مكثف نظرا لاستعانة العرب بالفرس و ازدياد انتشار الإسلام ، وكان من نتائج ذلك ظهور الاعتماد على القياس و التعليل مصحوبا ببروز طائفتين من العلماء الأفذاذ مثال أبي عمرو بن العلاء ، الخليل بن أحمد الفراهيدي و سيبويه الذين تصدوا لهذه الظاهرة بدافع الغيرة على لغتهم لأجل تقويم الألسن و حفظ القرآن الكريم من اللّحن,

مصادر جمع اللغة :

القرآن الكريم و الشعر القديم و الحديث النبوي الشريف

أ- القرآن الكريم :

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين ، وذلك بقوله تعالى : و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم وجاءت الصفة مبين للسان العربي و للقرآن الكريم و للرسول اثنتا عشر مرة في القرآن الكريم منها قوله :{ **نزل به الرّوح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين}** ومن هنا فان اللسان هو ما تنطقه الجماعة الكبيرة من أهل الجزيرة العربية وجاء تنزيل القرآن بها لتقوية اللسان و تدعيم سلطانها على الألسنة و النهوض بها الى أرفع المستويات و بفضل القرآن اتسعت العربية أيما اتساع و كان ذلك على مستوى الأغراض و المعاني و الأخيلة و الأساليب و الألفاظ و تعلم الناس بفضل القران فنون القول لم يكونوا يعرفونها على الرغم أنهم قوم بلاغة وبيان متحديا بلاغتهم بإعجازه لا في اللفظ و لكن في التركيب و الأساليب و طريقة النظم قال تعالى {قل لو اجتمعت الانس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا } وكان من المعاني الجديدة التي جاء بها القرآن الكريم ما تعلق بلفظة الصلاة والزكاة إذ كانت الأولى تعني الدعاء و الثاني الزيادة و النّماء فصارت الصلاة ركن الدين الركين الذي يبدأ بالتكبيرة و ينتهي بالتسليم كما استحالت الزكاة إلى فريضة تفرض على من بلغ ماله النّصاب و حال عليه الحول بأن يخرج هذا النّصيب المفروض عليه,و كان القرآن الكريم هو المدونة الصحيحة و المصدر الأول في جمع اللغة لأنه متنزه عن الخطأ و لأنه محفوظ ومصون فبات القرآن الكريم هو كتاب الله الذي يلجأ اليه اذ اقتضت الضرورة للفصل في كل خلاف,

ب الشعر القديم :

يقول أحدهم : إن الشعر ديوان العرب ، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه و هذا دليل على أن الشعر العربي القديم جاهليته و إسلامه بخاصة كان مصدرا أساسيا للرجوع إليه في كل قضة تستوجب ذلك إلا أن ما كان يروى منه شفاهيا أصابه الكثير من التحريف و التصحيف و نسب إليه مالم يكن منه وتذكر بعض المصادر أن كثير من الأعراب يخلقون القصائد و ينسبونها للشعراء من الجاهلية ارضاءً للغويين أو فوزا بقصب السّبق و كثيرا ما كانت تنسب هذه التحريفات و الانتحالات إلى الرّاويين حمّادة الراوية و خلف الأحمر فكان الشعر العربي القديم النّواة الأولى للغة العربية لأنه كنز يضم خصائص هذه اللغة و مقوماتها العامة و لأنه الوثيقة الرسمية التي حمل القرآن اللسان العربي الصحيح و كل خروج عن ألفاظه يعد خرقا و شذوذا للقاعدة و زاد من صحة ذلك الشعر نزول القرآن بمعظم قوالبه وأنماطه و نظمه,

فعدت لغة العرب شعرا ونثرا كلها صحيحة الى نهاية القرن الرابع هجري في الوقت الذي اختلط فيه الألسن و لم تبقى الفصاحة في الجزيرة العربية لهذا السبب,

ج- الحديث النبوي الشريف :

لقد تحرج اللغويون الأوائل من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف بعضه روى بالمعنى و بعضه انقطع سنده و بعضه طعن في روايته و لذلك احتج إلى غاية القرن الخامس الهجري خوفا من التحريف و التصحيف خاصة و أن بعض الفرق الإسلامية تفعل ذلك للتشيع بمواقفها و لخدمة أغراضها فكان مبدأ الاحتياط و التريث في الأمر شيئا فشيئا ضروريا للتمييز بين صحيح الحديث و المشكوك فيه لا، الحديث دوّن مؤخرا و الرسول صلعم قد قال : **منْ دوّن عني شيئا فليمحه** وهو القائل : **منْ كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النّار** فكان طبيعيا هذا التجدد من قبل اللغويين و العلماء لأن صاحب الحديث عليه الصلاة والسلام لأغراض فرضتها الظروف ,, الا اللغويين و النّحاة الذين جاءوا من بعد احتجوا بالحديث و اهتموا به بعد اكتشافهم للثروة الغوية الهامة التي يزخر با اللسان الذي وردت في أحاديث صلعم لأنه لا ينطق عن الهوى فكيف لا يأخذون عن كلامه و قد أخذ بكلام الأعرابي قبله الذين يتبولون على أعقابهم و بعد فرز الأحاديث صاروا يحتجون بما ورد في الكتب الصحاح ودون جدال ,

القران الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة كان لهما الفضل الكبير في إثراء الرصيد اللغوي العربي واتساع الأغراض و التقاء المعاني و الأخيلة و الأساليب فعدا بذلك من المصادر الثلاثة الأساس في جمع اللغة بعد الشعر القديم ,

<u>الرواية الشفوية و دور البصرة و الكوفة فيها :</u>

لقد عرفنا أن اللغويين ارتادوا البادية و رحلوا باسمرار لمسافة الأعراب بعد أن تفشى اللحن في الحضر أو في ذلك أن الفصاحة فارقة الحضر بعد 150سنة من الإسلام

وكانت البصرة و الكوفة بفضل علمائها و لغوييها الدور الكبير في حفظ اللغة و صول اللسان من ظاهرة اللحن

* فأما علماء البصرة كانوا سباقين لجمع اللغة و وضع النحو و اشتغاله بمدة مئة سنة قبل الكوفيين و قد وضع البصريون لأجل هذا الجمع قوانين موضوعية و شروطا دقيقة في الأخذ عن الأعراب مبتدئين بتحديد القبائل المحتج بلغتها عندهم قيس ، أسد تميم، هذيل بعض كنانة و بعض طيأ وبعض كنانة لأنها كانت القبائل الأفصح و الأبعد عن الاختلاط بغير العرب خوفا على فساد الألسنة ,

* أما الكوفيون فلم يطعنوا في لغة القبائل بل أخذوا عنهم كلهم دون حرج على اعتبار أنها صحيحة و احتجوا بكلام عامة الناسو قاصوا على الشذوذ الذي رفضته البصرة ,

ومن هذا الخلاف المبدئي ظهر الخلاف العام في الرواية الشفوية بين تشدد البصريين و تساهل الكوفيين ولهذا التعصب لكل فريق أصحابه و تبادلوا التهم و الطعون و قد كان في هذا الاختلاف اسباب نلخصها في الموقع ، الطباع و الميول، صفاء العروبة و نهج البحث

1- الموقع : موقع البصرة على طرفي البادية في مكان قريب من العروبة الصافية لم تمتد منها من النفوذ الأجنبي ما يطفئ جذوة العروبة و يفسد ألسنتهم يضاف إلى ذلك موقعها قرب **سوق المربد** الذي يشبه **سوق عكاض** في الجاهلية فكان فيه المجال مناسبا للقاء الأعراب و الأخذ منهم,

أما الكوفة فقد انشأت بعيدا عن جزيرة العرب وامتد اليها النفوذ الأجنبي و أثر فيها فهي قرية المناذرة في الطباع و الميول

2- الطباع و الميول : كان البصريون أميل للطاعة و الهدوء و كانوا يناصرون علي بن أبي طالب

,,,,,

3- صفاء العروبة : سكان البصرة أعرق في الفصاحة لأنهم من قبائل أصفى لغة و كانوا على صلة وثيقة بالبادية يرحلون اليها لمشافهة الأعراب لذلك كانت لغتهم أصفى وخالية من الشوائب أما الكوفيون فلم تكن بيئتهم في الصفاء اللغوي ما كان لبيئة البصريين لأنهم أخذوا اللغة حتى من عامة الناس ومن

4-نهج البحث : البصريون يقفون عند الشواهد الموثوق بصحتها لذا كانت اقيستهم و قواعدهم أقرب الى الصحة و كانوا يحتكمون للقواعد أما الشاذ فيحفضونه و لا يقيسون عليه,

أما الكوفيون فرأو احترام كل ماجاء عن العرب و أخذ بالقاعدة كما أخذوا بالشاذ

ومصفى القول أن البصريين أكثر حرية و أقوى عقلا و طريقتهم كانت أكثر تنظيما أما الكوفيون فكانوا أقل حرية و اشد احتراما لما ورد من العرب و أما الأسبقية في النحو بخاصة كانت لما ذكرنا للبصريين لذلك كان الكوفي يأخذ عن البصري أما البصري كان يتحرج من أن يأخذ من الكوفي

طبقات المدرسة الكوفية و البصرية

طبقات المدرسة البصرية :

1- الطبقة الأولى للامام الدوكلي

2-الطبقة الثانية : أبو عمر بن العلاء

3- الطبقة الثالثة الخليل بن أحمد الفراهيدي

4- الطبقة الخامسة الأخفش الأوسط

6- الطبقة السادسة أبو عثمان المازني

7-الطبقة السابعة : المبرد

طبقات المدرسة الكوفية :

* الطبقة الاولى : امامها أبو جعفر الروائي
* الطبقة الثانية شيخها الكسائي
* الطبقة الثالثة الفرّاء
* الطبقة الرابعة : أبو يوسف يعقوب السكيت
* الطبقة الخامسة : شيخها ثعلب

1))

3)) " 2))

-()1
ق -()2
-()3